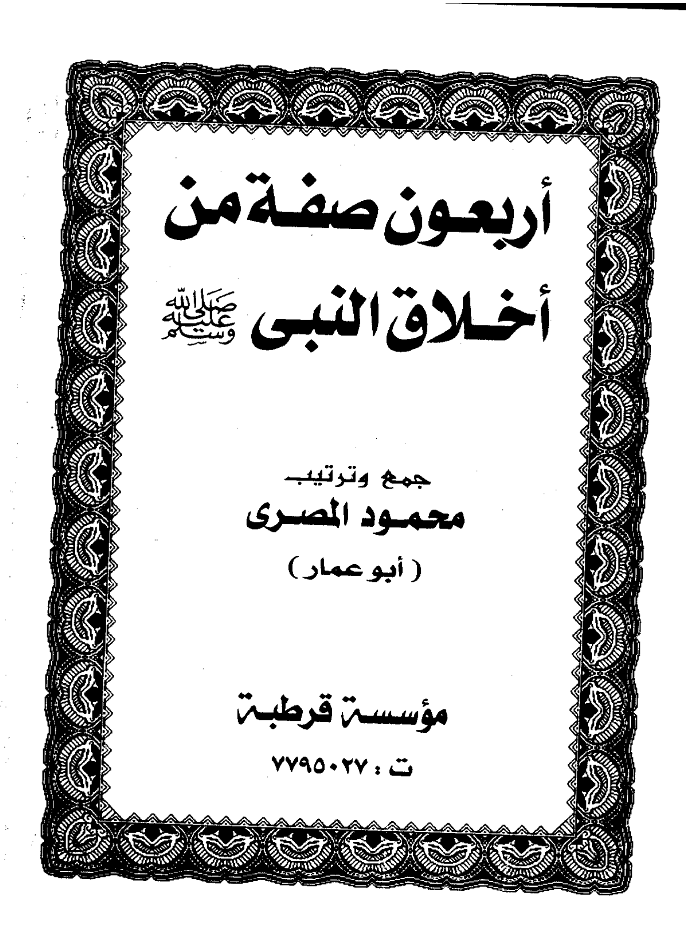
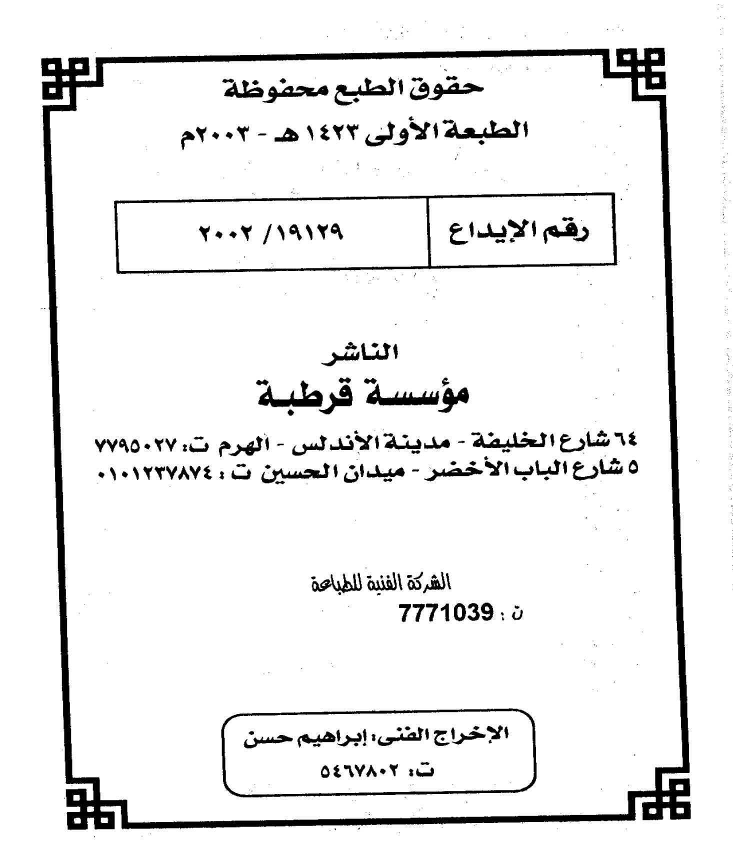


أربعون صفة من أخلاق النبى ﷺ

جمع وترتيب
محمود المصرى
(أبو عمار)

مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧



الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع	١٩١٢٩/ ٢٠٠٢

الناشر

مؤسسة قرطبة

٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧

٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت: ٠١٠١٢٣٧٨٧٤

الشركة الفنية للطباعة

ت: 7771039

الإخراج الفنى: إبراهيم حسن

ت: ٥٤٦٧٨٠٢

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب: ٧٠ ــ ٧١). أما بعد:

فإن الله (عز وجل) أثنى على حبيبه ﷺ أعظم ثناء فقال:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤) وقد أمرنا الله (جل وعلا) أن نتأسى وأن نتبع الرسول ﷺ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب: ٢١).

فكان لزامًا علينا أن نتعرف على بعض أخلاق وصفات النبى ﷺ لنتصف ونتمسك بها عسى أن تشرق شمس الأخلاق فى هذه الدنيا التى غابت عنها تلك الشمس سنوات طويلة.

إن موضوع الأخلاق ليست أمرًا هامشيًا، بل هو أصل من أصول هذا الدين. فديننا دين الخلق الرفيع وإن الأخلاق الحميدة كانت من أعظم أسباب انتشار هذا الدين فى شتى بقاع الأرض.

وهناك ارتباط وثيق بين الإيمان والأخلاق، ولذا قال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا...» (صحيح الجامع: ١٢٣٢) ولذلك اقتفى الإمام ابن القيم أثر شيخه الإمام ابن تيمية فى الربط بين الإيمان والأخلاق، وأشار إلى أن النبى ﷺ قد جمع بين تقوى الله، وحسن الخلق، وفسر ذلك بقوله: «لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه وحُسن الخُلق يُصلح ما بينه وبين خلقه فتقوى الله توجب له محبة الله وحُسن الخُلق يدعو الناس إلى محبته» [الفوائد (ص: ٧٥)].

فهيا بنا لنطوف فى بساتين أخلاق الحبيب ﷺ لنقطف من ثمارها ونشم عبيرها الذى فاض على الكون كله عسى الله أن يرزقنا أخلاق النبى ﷺ وأن يجمعنا به فى جنات النعيم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

الإخلاص

لقد كان الحبيب ﷺ أخلص الناس لله (جل وعلا) وكان يحض الأمة على الإخلاص لأن العمل لا يقبل بدون إخلاص.

فها هو الحبيب ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...» (متفق عليه).

وقال ﷺ: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتغي به وجهه» (صحيح الجامع: ١٨٥٦).

بل أخبر النبي ﷺ أن إخلاص العمل لله ينزع الغل والحقد من قلب المسلم، قال ﷺ: «وثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله والنصح لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم» (رواه ابن ماجة بسند حسن).

وإذا نطق العبد كلمة التوحيد خالصًا من قلبه فإنها تفتح لها أبواب السماء كما قال ﷺ: «ما قال عبد: لا إله إلا الله قط مخلصًا إلا فتحت له أبواب السماء تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر» (صحيح الجامع: ٥٦٤٨).

إن أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة من نطق كلمة التوحيد خالصًا من قلبه. كما قال ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه» (أخرجه البخاري).

وإن قالها العبد خالصًا ـ قلبه فإن الله يحرم جسده على النار فقد قال سيد الأبرار ﷺ: «لن يوافى عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغى بها وجه الله إلا حرم الله عليه النار» (أخرجه البخارى).

ولو طلب العبد الشهادة بصدق إن الله يبلغه منازل الشهداء.. كما قال سيد الاتقياء ﷺ ـ كما فى صحيح مسلم ـ «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه».

بل إن العبد يتحصل على الأجر الجزيل بإخلاص نيته لله (جل وعلا) قال ﷺ ـ كما فى الصحيحين ـ «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك: فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة».

فاللهم ارزقنا الإخلاص فى القول والعمل واحشرنا فى زمرة سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ.

الوفـاء

ولقد كان النبى ﷺ سيد الأوفياء فمن أراد أن يتعلم الوفاء

فليقرأ سيرة الحبيب ﷺ.

فها هو ﷺ يقول: «اضمنوا لى ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم وأفوا إذا وعدتم.....» (صحيح الجامع: ١٠١٨) فجعل الوفاء سببًا فى دخول الجنة.

وها هو المغيرة بن شعبة الذى كان قد صحب قومًا فى الجاهلية فشربوا الخمر فقام عليهم فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم وأراد أن يعطى المال للنبى ﷺ فقال له النبى ﷺ ـ كما فى الصحيحين ـ: «أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شىء». وذلك لأنه أخذ غدرًا.

(عن أبى رافع ـ رضى الله عنه ـ قال: بعثتنى قريش إلى رسول الله ﷺ فلما رأيت رسول الله ﷺ ألقى فى قلبى الإسلام، فقلت: يا رسول الله، إنى والله لا أرجع إليهم أبدًا، فقال رسول الله ﷺ: «إنى لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، ولكن ارجع، فإن كان فى نفسك، الذى فى نفسك الآن، فارجع» قال: فذهبت، ثم أتيت النبى ﷺ فأسلمت) (رواه أبو داود بسند صحيح)

بل هذا هرقل لما سأل أبا سفيان ـ كما فى الصحيحين ـ وقال له: فماذا يأمركم به (يعنى النبى ﷺ) قال أبو سفيان: يأمرنا بالصلاة والصدقة والوفاء بالعهد وأداء الأمانة.

(وعن حذيفة بن اليمان ـ رضى الله عنهما ـ قال: ما منعنى أن أشهد بدرًا إلا أنى خرجت أنا وأبى حسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريده إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: «انصرفا نفى لهم بعهدهم، ونستعين بالله عليهم») (أخرجه مسلم).

بل تأمل معى لوفائه ﷺ مع زوجه خديجة (رضى الله عنها) بعد موتها.

(عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: كان النبى ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يومًا، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله ـ عز وجل ـ بها خيرًا منها، قال: «ما أبدلنى الله ـ عز وجل ـ خيرًا منها، قد آمنت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله ـ عز وجل ـ ولدها إذ حرمنى أولاد النساء»). (رواه أحمد بسند حسن).

المراقبـة

وكان الحبيب ﷺ أخشى الناس لله (جل وعلا) وكان يُعلم كل مسلم أن الله (عز وجل) مطلع عليه يراقبه فى كل صغيرة وكبيرة.. ولذلك لما سأله جبريل (عليه السلام) عن الإحسان ـ

كما فى الصحيحين - قال ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وكان يوصى معاذ بن جبل - والأمة من بعده - ويقول: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلقٍ حسن» (صحيح الجامع: ٩٧).

وقال ﷺ: «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك....» (صحيح الجامع: ٧٩٥٧).

وكان ﷺ يحذر أمته من مبارزة الله (عز وجل) بالذنوب والمعاصى ولذلك أخبرنا بهذا المشهد العجيب - مشاهد الآخرة فقال ﷺ: «لأعلمن أقوامًا من أمتى، يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباء منثورًا، أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها» (صحيح الجامع: ٥٠٢٨).

فاللهم ارزقنا خشيتك فى السر والعلن واجعل سرنا أفضل من علانيتنا.

اليقين والتوكل

ولقد كان الحبيب ﷺ سيد المتوكلين.

روى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أيضًا قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم ﷺ حين ألقى فى النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ولما كان النبى ﷺ فى ليلة الهجرة إلى المدينة ومعه أبو بكر فلما اقترب المشركون من الغار قال أبو بكر ـ كما فى الصحيحين ـ يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال له ﷺ: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما».

وكان النبى ﷺ يدعو بهذا الدعاء ويقول ـ كما فى صحيح مسلم ـ «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت...».

وكان يوصى الأمة بالتوكل ويقول ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا» (صحيح الجامع: ٥٢٥٤).

وأخبر النبى ﷺ أن التوكل يحفظ العبد من فتنة المسيح الدجال.

(عن هاشم بن عامر ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رأس الدجال من ورائه حبك حبك فمن قال: أنت ربى

افتتن، ومن قال: كذبت، ربى الله عليه توكلت فلا يضره، أو قال فلا فتنة عليه») (رواه أحمد بسند حسن).

بل وأخبر أيضًا أن التوكل يحفظ العبد عند النفخ فى الصور.

قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ» فكان ذلك ثقل على أصحاب النبى ﷺ فقال لهم: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا» (صحيح الجامع: ٤٥٩٢).

ويختم النبى ﷺ البشريات بأن يخبر أن التوكل جعله الله سببًا لدخول سبعين ألفًا الجنة بغير حساب ولا عذاب ـ كما فى الصحيحين ـ أن النبى ﷺ قال ـ فى آخر الحديث ـ «فقيل لى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» فلما سأله الصحابة عن هؤلاء قال لهم ﷺ: «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون».

وعلمنا النبى ﷺ أن الأخذ بالأسباب لا يقدح فى التوكل.. فها هو ﷺ ليلة الهجرة يختبئ من المشركين فى الغار وكان من الممكن أن يسير أمامهم فى وضح النهار لكنه أراد أن يعلم الأمة أن الأخذ بالأسباب لا يقدح فى توكل العبد وأن العبد لا بد أن يأخذ بتلك الأسباب مع علمه ويقينه فى أن الأسباب وحدها لا تنفع ولا تضر إلا بأمر مسبب الأسباب (جل وعلا).

لذلك لما جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال له: أعقلها وأتوكل أو أُطلقها وأتوكل؟ فقال له ﷺ: «اعقلها وتوكل» (صحيح الجامع: ١٠٦٨).

فاللهم ارزقنا نعمة التوكل لنكون مع السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

الإحسان

وإذا تكلمنا عن الإحسان فلا نستطيع أن ننسى أبدًا سيد المحسنين وإمام المتقين محمد بن عبد الله (عليه أفضل الصلاة والسلام) الذى بلغ المنزلة والمكانة العليا فى الإحسان، وأوصى أمته بتلك المنزلة العالية.

لما سأل جبريل (عليه السلام) نبينا ﷺ عن الإحسان ـ كما فى الصحيحين ـ قال ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ووضح النبى ﷺ أن الله كتب الإحسان فى كل شىء فقال ﷺ ـ كما فى صحيح مسلم ـ «إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته».

ويأتى رجل إلى النبى ﷺ ويسأله، ويقول: «كيف لى أن أعلم

إذا أحسنت أو أسأت؟ فقال له النبى ﷺ: «إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت فقد أحسنت وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت فقد أسأت» (صحيح الجامع: ٦١٠).

ولقد علمنا النبى ﷺ أن العبد إذا أحسن فى إسلامه فإن الله (عز وجل) يغفر له ما كان فى جاهليته.

قال رجل: يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا فى الجاهلية؟ قال ﷺ - فى الصحيحين -: «من أحسن فى الإسلام لم يؤاخذ بما عمل فى الجاهلية ومن أساء فى الإسلام أخذ بالأولى والآخر».

هكذا كان النبى ﷺ يعلم الأمة أن الإحسان يشمل كل شىء: من علاقة العبد بربه (جل وعلا) وذلك بأن يراقب ربه فى كل صغيرة وكبيرة ولا يفعل إلا ما يقرب من الله (عز وجل)..ومن علاقة العبد بالمسلمين من حوله وذلك بأن يُحسن إلى والديه وإخوانه وجيرانه بل ويعلمنا الإحسان حتى إلى الدواب فلقد أخبر النبى ﷺ أن امرأة من البغايا سقت كلبًا فغفر الله لها... وفى المقابل فلقد أخبر النبى ﷺ أن امرأة حبست هرة (قطة) فدخلت بسببها النار.

التواضع

وأين نحن من خلق التواضع الذى أمرنا به الحق (جل وعلا)

حيث قال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥).

وأمرنا به النبى ﷺ حيث قال: «إن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحـد» (أخرجه مسلم).

وقال ﷺ: «.... وما تواضع أحد لله إلا رفعـه اللـه».

(أخرجه مسلم)

بل لقد كان النبى ﷺ له الحظ الأوفر من هذا الخلق العظيم، فلقد روى البخارى عن أنس أنه قال: «إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبى ﷺ فتنطلق به حيث شاءت.

بل سأل رجل عائشة (رضى الله عنها): هل كان رسول الله ﷺ يعمل فى بيته؟ قالت: نعم كان رسول الله ﷺ يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته.

(أخرجه البغوى بسند صحيح)

وكان ﷺ يقول: «آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» (السلسلة الصحيحة: ٥٤٤).

وكان ﷺ يقول: «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبدٌ فقولوا: عبد الله ورسوله» (أخرجه البخارى).

بل كان ﷺ يدعو ويقول: «اللهم أحينى مسكينًا وأمتنى مسكينًا واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة»

(صحيح سنن الترمذى: ١٩١٧)

فها هى أخلاق سيد الأولين والآخرين ﷺ... وها هو تواضعه فياليتنا نتعلم منه خُلق التواضع فهو أسوتنا وقدوتنا.

ولقد أخبر النبى ﷺ أنه «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر» (أخرجه مسلم).

حُسن الخلق

وأين نحن من أخلاق النبى ﷺ الذى وصفه الحق (جل وعلا) بأعظم وصف فقال فى حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

ولقد أوصانا النبى ﷺ بحسن الخلق فقال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا وخياركم خياركم لنسائهم»

(صحيح الجامع: ١٢٣٢)

وقال ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» (صحيح الجامع: ١٩٣٢).

وأخبر النبى ﷺ أن ميزان العبد يوم القيامة يثقل بحسن الخلق فقال ﷺ: «ما من شىء أثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة

من حسن الخلق» (صحيح الجامع: ٥٧٢٦).

وأخبر الحبيب ﷺ أن صاحب الخلق الحسن يكون فى أعلى الجنة فقال ﷺ: «أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محقًا، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحًا، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه»

(صحيح الجامع: ١٤٦٤)

بل وفق ذلك فإن صاحب الخلق الحسن يكون أقرب الناس من النبى ﷺ فى الجنة فقد قال ﷺ: «إن من أحبكم إلى، وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقًا. وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة، الثرثارون، والمتشدقون والمتفيهقون» قالوا: يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون» (صحيح الجامع: ٢٢٠١).

وها هو حال النبى ﷺ مع حسن الخلق.. فقد قال أنس (رضى الله عنه) ـ كما فى الصحيحين ـ «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا».

وفى الصحيحين أيضًا أنه قال: «ما مست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لى قط: أف، ولا قال لشىء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشىء

لم أفعله: ألا فعلت كذا؟

فنسأل الله (عز وجل) أن يرزقنا جميعًا أخلاق النبى ﷺ لنكون فى صحبته يوم القيامة فى جنة الرب الكريم العلى (جل وعلا).

التقـوى

لقد كان الحبيب ﷺ أتقى الناس لله (جل وعلا) ولذا قال عن نفسه ﷺ - كما فى الصحيحين - «.... أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له».

وكان ﷺ يوصى الأمة بتقوى الله لأنها طوق النجاة فى الدنيا والآخرة.. قال ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة...» (السلسلة الصحيحة: ٩٣٧).

وكان يدعو بهذا الدعاء دائمًا ويقول - كما فى صحيح مسلم - «اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى».

وأوصى الأمة قبل موته - فى حجة الوداع - فقال ﷺ: «اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطعيوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم» (صحيح الجامع: ١٠٩).

فيا ليتنا نتعلم - من الحبيب ﷺ خُلق التقوى لتكون وقاية الناس من عذاب الله ولتكون هاديًا لدخول جنته وصحبة نبينا

ﷺ والنظر إلى وجه ربنا (تبارك وتعالى).

الخـوف

إن النبى ﷺ هو أعلم الناس بالله (جل وعلا) ولذلك كان ﷺ يقول لأصحابه: ـ كما فى الصحيحين ـ «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا».

وفى رواية قال ﷺ: «إنى أرى ما لا ترون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى» (صحيح الجامع: ٢٤٤٩).

وكان ﷺ يقول: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفر» (صحيح الجامع: ٤٥٩٢).

وكان النبى ﷺ يعلم أصحابه ـ والأمة من بعدهم ـ أن الخوف من الله يقود العبد إلى جنة الرحمن (جل وعلا) فقد قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن: ٤٦)، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٤٠، ٤١).

وقال ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة

الله غالية ألا وإن سلعة الله الجنة» (صحيح الجامع: ٦٢٢٢).

ومن أجل ذلك دلنا النبي ﷺ على الاستعداد للقاء الله (عز وجل) فقال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة».

الرجـاء

وكان النبي ﷺ يوازن بين الخوف والرجاء ويُعلم الأمة ذلك حتى لا يتجرأ عبدٌ على انتهاك محارم الله وحتى لا ييأس أحدٌ من رحمة الله (جل وعلا).

ولذا كان النبي ﷺ يوحي دائمًا بتلك الوصية الغالية ويقول ـ كما في صحيح مسلم ـ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله عز وجل».

وكان ﷺ يبث الأمل في قلوب المذنبين حتى لا ييأسوا من رحمة رب العالمين (جل وعلا)... فكان ﷺ يقول: ـ كما في صحيح مسلم ـ «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم».

وكان يوضح سعة رحمة الله تعالى فيقول ـ كما في

الصحيحين ـ: «إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تعالى تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

وفى الصحيحين أيضًا عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال: قدم رسول الله ﷺ بسبى فإذا امرأة من السبى تسعى، إذ وجدت صبيًا فى السبى أخذته فألزقته ببطنها، فأرضعته، فقال رسول الله ﷺ «أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟» قلنا: لا والله، فقال: «للهُ أرحم بعباده من هذه بولدها».

وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ كان يخبر أن «الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها».

وفى صحيح مسلم أيضًا أن النبى ﷺ قال: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟ من ذا الذى يسألنى فأعطيه؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر».

بل ويخبر عن هذا المشهد الجليل من مشاهد الآخرة لتعلو راية الأمل فى قلوبنا ـ ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «يدنى

المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيقرره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: رب أعرف، قال: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته».

وهكذا كان النبى ﷺ أرجى الناس وكان يبث الرجاء فى قلوب الناس حتى لا يقنطوا من رحمة الله (جل وعلا).

الحلم والرفق

قال ﷺ ـ كما فى صحيح مسلم: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه».

وقال ﷺ ـ كما فى صحيح مسلم ـ أيضًا: «إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إلا شانه».. وفى رواية لمسلم أنه ﷺ قال: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله».

بل ويخبر النبى ﷺ أن هذا الخلق وتلك الخصلة يحبها الله (جل وعلا).

فها هو ﷺ ـ كما عند مسلم ـ يقول لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة».

ويخبر النبى ﷺ أن تلك الخصلة تجعل صاحبها من الناجين

من عذاب النار.

قال ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريبٍ هينٍ سهلٍ» (صحيح الجامع: ٢٦٠٩).

وها هو المثال العملى من حياة الحبيب النبى ﷺ.

روى البخارى ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: بال **أعرابى فى المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبى ﷺ: «دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».**

ـ وفى صحيح مسلم ـ عن عائشة (رضى الله عنها) قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ **شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا، إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شىء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى.**

ـ وفى الصحيحين ـ عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبى ﷺ **وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك. فالتفت إليه، فضحك،**

ثم أمر له بعطاء.

القوة والشجاعة

- فى الصحيحين ـ (عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: كان النبى ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبى ﷺ سبقهم على فرس، وقال: «وجدناه بحرًا»).

ـ وعند البخارى ـ (عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: كان النبى ﷺ يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين).

ـ وفى الصحيحين ـ أنه «سأل رجل البراء ـ رضى الله عنه ـ قال: يا أبا عمارة، أوليتم يوم حنين؟ قال البراء ـ وأنا أسمع ـ: أما رسول الله ﷺ فلم يول يومئذ، كان أبو سفيان بن الحارث آخذًا بعنان بغلته، فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول: «أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» قال: فما رئى من الناس يومئذ أشد منه).

ولذلك ينبغى على المسلم أن يكون شجاعًا حتى إذا دارت رحى الحرب بيننا وبين اليهود لا يفر ويترك ميدان الشرف

والجهاد.

ولقد رأينا صورًا مشرقة من أطفال وشباب فلسطين الذين يقفون بالحجارة أمام المدافع والدبابات وقد باعوا أنفسهم لله (جل وعلا).

الخشية

لقد كان النبى ﷺ أخشى الناس لله (جل وعلا) وكان يقول عن نفسه ﷺ - كما فى صحيح مسلم -: «والله إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى».

ولما سأله جبريل (عليه السلام) - كما فى صحيح مسلم - وقال له: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال ﷺ: «أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك».

وكان النبى ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «...اللهم وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة» (رواه النسائى بسند صحيح).

وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا» (رواه الترمذى والحاكم بسند صحيح).

بل وأخبر النبى ﷺ - كما فى الصحيحين - أن من السبعة الذين يُظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» .

فأين الخشية التى تمنعنا من الوقوع فيما يغضب الله (عز وجل) وأين الخشية التى تجعلنا نراقب الله (جل وعلا) فى كل صغيرة وكبيرة عسى الله أن يرحمنا فى الدنيا والآخرة.

الحياء

وأين نحن من خلق الحياء الذى وصفه النبى ﷺ بأنه خلق الإسلام فقال ﷺ: «إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء» (صحيح الجامع: ٢١٤٩)... وأخبر أنه من أخلاق الأنبياء وأتباعهم فقال ﷺ - كما عند البخارى - «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت».

بل وأخبر الحبيب ﷺ - كما فى الصحيحين - أن «الحياء لا يأتى إلا بخير» - وفى رواية مسلم - «الحياء كله خير».

ولما جاءه رجل وطلب منه الوصية فقال: أوصنى يا رسول الله. قال: «أوصيك أن تستحى من الله عز وجل كما تستحى من الرجل الصالح من قومك» (صحيح الجامع: ٢٥٤١).

بل وقرنه النبى ﷺ بالإيمان وجعله شعبة منه فقال ﷺ - كما

فى الصحيحين ـ «والحياء شعبة من الإيمان»، وقال ﷺ: «الحياء والإيمان قرنا جميعًا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» (صحيح الجامع: ٣٢٠٠) وقال ﷺ: «الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار» (صحيح الجامع: ٣١٩٩).

وكان النبى يقول عن عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ـ كما فى صحيح مسلم ـ «ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة».

بل ويصف أبو سعيد الخدرى حبيبنا النبى ﷺ ـ كما عند البخارى ـ ويقول: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها».

وتدبر معى ما قاله عمر بن الخطاب (رضى الله عنه): «من قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه».

فياليتنا نتخلق بخلق الحياء الذى غاب من صفحة الحياة فى هذا الزمان عند أكثر الناس ـ إلا من رحم الله ـ

الرضا

لقد كان النبى أرضى الخلق عن الله (عز وجل) وعن قضائه.. بل كان أحرص الناس على الفوز برضوان الله (جل وعلا).

فها هو عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يدخل على النبى

ﷺ فيجده نائما على الحصير فيقول ـ كما فى صحيح البخارى ـ يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله!! فقال ﷺ: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟».

وها هو ﷺ يقول لأبى هريرة (رضى الله عنه): «اتق المحارم تكن أعبد الناس وارضى بما قسم الله لك تكن أغنى الناس..»

(صحيح الجامع: ١٠٠).

ولما مات ابنه إبراهيم قال ﷺ ـ كما عند البخارى ـ «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

وكان ﷺ يدعو كثيراً ويقول ـ كما عند مسلم ـ «اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك...».

وكان ﷺ يعلم الأمة أن كل قضاء يأتى من عند الله فهو خيرٌ للمؤمن فى دينه ودنياه... قال ﷺ ـ كما عند مسلم ـ «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له».

فيا ليتنا نتعلم الرضا من الحبيب ﷺ فنرضى بما قسمه الله لنا ونرضى عن قضاء الله (عز وجل) لنفوز برضوانه وجنته.

الزهد

لقد كان النبى ﷺ سيد الزاهدين وكان يحض أمته على الزهد لينالوا محبة الله وجنته... فها هو رجل يأتى إلى النبى ﷺ ويسأله ويقول: يا رسول الله دلنى على عمل إذا أنا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال رسول الله ﷺ: «ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس»

(صحيح الجامع: ٩٢٢)

وكان ﷺ يقول: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة» (رواه الحاكم بسند صحيح).

وكان ﷺ يقول: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة فما سقى كافرًا منها شربة ماء» وقال ﷺ ـ كما عند مسلم ـ «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وأما عن حاله ﷺ مع الزهد فتأمل معى تلك الصفحة المشرقة من زهده ﷺ.

ـ رواه مسلم ـ أنه (خطب النعمان بن بشير ـ رضى الله عنهما ـ قال: ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يتلوى، ما يجد دقلا، يملأ به بطنه).

ـ وفى الصحيحين ـ عن عائشة (رضى الله عنها) قالت:

«كان فراش رسول الله ﷺ من أدم وحشوه ليف» ـ وفى صحيح مسلم ـ عنها أنها قالت: «لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت فى يوم واحد مرتين».

ـ وروى البخارى ـ (عن عمرو بن الحارث ـ رضى الله عنه ـ قال: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهما ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئا، إلا بغلته البيضاء وسلاحه، وأرضا جعلها صدقة).

(عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر فى جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال: «مالى وللدنيا، ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»)

(صحيح الجامع: ٥٦٦٨)

ـ وفى الصحيحين ـ أن عائشة (رضى الله عنها) قالت لعروة: والله يا ابن أختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله ﷺ نار. قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء.

فيا ليت قلوبنا تتعلق بالآخرة لنفوز بمحبة الله ورضوانه

ولنلحق بالحبيب ﷺ فى جنات النعيم.. وعلينا أن نعلم يقينا أننا سننسى كل بلاء مع أول غمسة فى جنة الرحمن فقد قال ﷺ ـ كما فى صحيح مسلم ـ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ فى النار صبغة ثم قال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسا فى الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله، ما مر بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط».

الصبر

ولقد كان النبى ﷺ أصبر الخلق على الأذى فلقد أخبر ﷺ أن «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل..»

(أخرجه البخارى)

ولذلك كان حظ النبى ﷺ من البلاء هو النصيب الأوفر.. ونحن نعلم كيف أن عقبة بن أبى معيط ذهب وخنق النبى ﷺ ذات مرة بل ذهب إليه مرة أخرى ووضع قدمه النجسة على مؤخرة رأس النبى ﷺ وهو يصلى عند الكعبة بل وتآمر عليه المشركون حتى وضعوا سلا الجزور على ظهره وهو يصلى.. ومع ذلك كان أصبر الناس ﷺ.

بل لا ننسى أبدًا ما حدث للنبى ﷺ فى الطائف لما ذهب إليهم

يدعوهم إلى الله فلم يستجيبوا له وسلطوا عليه الصبيان والنساء يضربونه بالحجارة حتى ألجأوه إلى حائط لبنى شيبة فيأتيه جبريل ومعه ملك الجبال (عليهما السلام) ويقول له ملك الجبال: إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين. فقال النبى ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا».

فيا ليتنا نتعلم الصبر من النبى ﷺ حتى إذا واجهتنا الصعاب والمتاعب فى دعوتنا للناس نعلم يقينا أن هذا هو طريق الأنبياء فنصبر ونحتسب ونملأ قلوبنا رحمة لتفيض تلك الرحمة على الكون كله.

الصدق

لقد كانت حياته ﷺ أفضل مثال للإنسان الكامل الذى اتخذ من الصدق فى القول والأمانة فى المعاملة خطا ثابتا لا يحيد عنه قيد أنملة، وقد كان ذلك فيه بمثابة السجية والطبع فعرف بذلك حتى قبل البعثة، وكان لذلك يلقب بالصادق الأمين، واشتهر بهذا عرف به بين أقرانه، وقد اتخذ ﷺ من الصدق الذى اشتهر به بين أهله وعشيرته مدخلاً إلى المجاهرة بالدعوة.

يقول صاحب جلاء الأفهام ما خلاصته: لقد كان ﷺ محفوظ اللسان من تخريف فى قول واسترسال فى خبر يكون إلى الكذب منسوبا وللصدق مجانبا.. وكانت قريش كلها

تعرف عنه ذلك، ولو حفظوا عليه كذبة نادرة فى غير الرسالة لجعلوها دليلاً على تكذيبه فى الرسالة، ومن لزم الصدق فى صغره كان له فى الكبر ألزم، ومن عصم منه فى حق نفسه كان فى حقوق الله أعصم.

وكان النبى ﷺ يحض أمته على الصدق، ويعلمهم أن الصدق أقرب طريق إلى الجنة. قال ﷺ: «اضمنوا لى ستًا من أنفسكم، أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم...»
(صحيح الجامع: ١٠١٨)

وقال ﷺ ـ كما فى الصحيحين ـ «إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا...».

وقال ﷺ ـ كما فى صحيح مسلم ـ «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه».

وحسبنا أن الله (عز وجل) أمرنا أن نكون مع الصادقين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩). وأخبرنا أن الصدق ينفع صاحبه يوم القيامة فقال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة: ١١٩).

فاللهم اجعلنا من الصادقين واحشرنا مع سيد الصادقين ﷺ يوم القيامة.

الأمانـة

وأين نحن من خلق الأمانة فى هذا الزمان الذى ضيعت فيه الأمانة ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما أمرنا الله (عز وجل) بأداء الأمانة فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨).

ولقد أمرنا النبى ﷺ بالأمانة فقال: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك» (صحيح الجامع: ٢٤٠) بل لما سأل هرقل أبا سفيان عن النبى ﷺ وقال له: بما يأمركم؟ قال له: يأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة» (متفق عليه).

وجعل النبى ﷺ خيانة الأمانة علامة من علامات النفاق فقال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان» (متفق عليه).

ـ بل وأخذ النبى ﷺ ـ كما فى الصحيحين ـ أن الأمانة ستقبض من قلوب كثير من الناس حتى أنه يصبح الناس يتابعون فلا يكاد أحد يؤدى الأمانة فيقال: إن فى بنى فلان رجلاً

أمينًا!!!

وهذا هو الزمان الذى نعيشه الآن الذى أصبحت فيه المعاملات ظلمات بعضها فوق بعض ـ وكل ذلك بسبب ضعف الإيمان.

بل حذرنا النبى ﷺ من خيانة الأمانة لأنها تذهب بحسنات العبد يوم القيامة ـ كما فى حديث المفلس الذى رواه مسلم ـ أن النبى ﷺ أخبر أن المفلس هو من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح فى النار».

فيا ليت الأمة تتخلق بخلق الأمانة الذى كان من أخلاق النبى ﷺ حتى إن المشركين كانوا يسمونه بالصادق الأمين... ولنا الأسوة والقدوة فيه ﷺ.

الشكر

كان النبى ﷺ أشكر الخلق لله (عز وجل) وكان يعلمنا ويحضنا على شكر الله (جل وعلا).

(عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ أخذ

بيده، وقال: «يا معاذ، والله إنى لأحبك والله إنى لاحبك، فقال: أوصيك يا معاذ! لا تدعن فى دبر كل صلاة تقول: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (صحيح الجامع: ٧٩٦٩).

وقال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بى من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر يومه، ومن قال ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته» (رواه أبو داود بسند حسن).

بل يخبر النبى ﷺ أن العبد إذا شكر الناس على المعروف فإن هذا يعتبر شكرًا لله لأن الله (عز وجل) هو الذى سخرهم لخدمته.

قال ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» (صحيح الجامع: ٧٧١٩).

بل يخبر النبى أن العبد سيُسأل يوم القيامة عن تقصيره فى شكر نعم الله (عز وجل) - ففى صحيح مسلم - أن النبى ﷺ قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة يا ابن آدم حملتك على الخيل والإبل وزوجتك النساء وجعلتك تربع وترأس فأين شكر ذلك؟».

وأما عن حاله ﷺ مع الشكر: - ففى الصحيحين - عن المغيرة

بن شعبة أنه قال: إن كان النبى ﷺ ليقوم أو ليصلى حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له فيقول: «أفلا أكون عبدًا شكورًا؟».

(وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: سجد النبى فى (ص) وقال: «سجدها داود توبة ونسجدها شكرًا»)

(رواه النسائى بسندٍ صحيح)

(وعن شداد بن أوس ـ رضى الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يقول فى صلاته: «اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك...») (رواه النسائى والحاكم بسندٍ صحيح).

(وعن أبى بكرة نفيع بن الحارث ـ رضى الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه أمر سرور أو بشر به خر ساجدًا شاكرًا لله») (رواه أبو داود بسندٍ صحيح).

فاللهم اجعلنا من أهل الشكر الذين هم دائمًا فى مزيد.

طلاقة الوجه

لقد كان النبى ﷺ أكثر الناس تبسمًا فى وجوه أصحابه وكان يعلمهم أن تلك البسمة صدقة؛ لأنها تنشر الحب والمودة بين المسلمين.

قال ﷺ: «تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة...» (صحيح

الجامع: ٢٩٠٨).

وقال ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (أخرجه مسلم).

فياليتنا نتعلم من النبى ﷺ هذا الخُلق الحميد فنبتسم فى وجه إخواننا لننشر روح الألفة والمودة بين المسلمين.

المروءة

كان النبى ﷺ أعظم الناس مروءة وكان يعلم أصحابه المروءة من خلال المواقف الحية التى يرونها منه ﷺ.

فنحن نعلم كيف فعل النبى ﷺ مع ثمامة بن أثال الذى كان يدبر المؤامرات لقتل النبى ﷺ ومع ذلك لما جىء به أسيرًا وربط فى سارية فى المسجد وإذا بالنبى ﷺ يعفو عنه ويطلق سراحه.. ويذهب ثمامة غير بعيد ويعود ليسلم لله (جل وعلا) وكان ثمامة سيد أهل اليمامة، وكان الطعام يأتى إلى قريش من اليمامة فلما ذهب ثمامة ليعتمر وتعرض لأذى كفار قريش وإذا به يقسم بالله على أنه يمنع الطعام عن قريش فجهدت قريش وأرسلوا إلى النبى ﷺ ليأمر ثمامة أن يخلى بينهم وبين الميرة (الطعام) وإذا بنهر الرحمة وينبوع الحنان ﷺ يرسل إلى ثمامة ليبعث إليهم الطعام مرة أخرى.

بل ولما جاءت امرأة إلى النبى ببردة منسوجة فلبسها النبى ﷺ محتاجًا إليها فقال له صحابى: اكسنيها يا رسول الله ما أحسنها. فأعطاه النبى ﷺ تلك البردة مع احتياجه لها... فقال الصحابة لهذا الرجل: ما أحسنت لبسها النبى ﷺ محتاجًا إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد.. قال: إنى والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفنى.. فكانت كفنه.

فنسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنا بهذا الخلق الراقى.

الـورع

والورع هو ترك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس.

وقال الإمام ابن القيم: هو ترك ما يخشى ضرره فى الآخرة.

وكان النبى ﷺ أعظم الناس ورعًا وكان يحض الأمة على هذا الخلق العظيم.

قال ﷺ: «فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة وخير دينكم الورع» (صحيح الجامع: ٤٢١٤).

وقال ﷺ ـ كما عند البخارى ـ «لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خيرٌ له من أن يسأل الناس».

وقال ﷺ ـ كما فى الصحيحين ـ «الحلال بين والحرام بين

وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثيرٌ من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه...».

وجمع النبى ﷺ ذلك كله فى قوله: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك...» (صحيح الجامع: ٣٣٧٨).

وأما عن حال النبى ﷺ مع الورع فتأمل معى أيها الأخ الحبيب إلى حاله ﷺ ـ ففى الصحيحين ـ أن النبى ﷺ قال: «إنى لأنقلب إلى أهلى فأجد التمرة ساقطة على فراشى ثم أرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها»).

(وعن نافع مولى ابن عمر: أن ابن عمر سمع صوت زمارة راع، فوضع أصبعيه فى أذنيه، وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول: يا نافع، أتسمع؟ فأقول: نعم، فيمضى، حتى قلت: لا، فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق، وقال: رأيت رسول الله ﷺ وسمع صوت زمارة راع فصنع مثل هذا»)

(رواه أحمد بسند صحيح)

بل هذا صاحبه أبو بكر (ر ضى الله عنه) (عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: كان لأبى بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يومًا بشىء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدرى ما هذا؟ فقال أبو بكر؟ وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية، وما أحسن الكهانة إلا أنى خدعته،

فأعطانى بذلك، فهذا الذى أكلت منه. فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شىءٍ فى بطنه»).

التناصر

وكان خلق التناصر من أجل أخلاق النبى ﷺ - ففى البخارى - أن رسول الله ﷺ قال: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «تحجزه أو تمنعه عن الظلم. فإن ذلك نصره»).

وقال رسول الله ﷺ: «ما من امرئٍ يخذل مسلمًا فى موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئٍ ينتصر مسلما فى موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته») (صحيح الجامع: ٥٦٩٠).

فأين النصرة لإخواننا فى فلسطين والشيشان وغيرهما من بلاد الإسلام التى تُذبح كل يوم على مرأى ومسمع من العالم كله؟!!

تفريج كربات المسلمين

وكان هذا الخلق من أجل أخلاق النبى ﷺ فها هو ﷺ يقول - كما فى صحيح مسلم «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم

القيامة فلينفس عن معسرٍ أو يضع عنه».

وقال ﷺ: «من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسرٍ» (رواه أحمد بسندٍ صحيح).

ـ وفى صحيحٍ مسلم ـ أن النبى ﷺ قال: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه».

فيا ليتنا نسعى فى تفريج كربات المسلمين حتى يفرج الله عنا كرب يوم القيامة.

حسن الظن

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

وكان النبى ﷺ يحض المسلمين على حسن الظن وينهاهم عن سوء الظن.. قال ﷺ ـ كما فى الصحيحين ـ «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث».

فيا ليتنا نتعلم هذا الخلق الرفيع فنحسن الظن بإخواننا وأخواتنا، بل يا ليتنا نحسن الظن بدعاة وعلماء الأمة الذين

يقفون على ثغر من ثغور الإسلام ليعلموا الناس أمور دينهم.

فإذا وصلنا أى كلام عن أحد الدعاة فعلينا أن نُعرض عن كلام المغرضين وعلينا أن نحسن الظن بدعاة الأمة المخلصين الذين جعلوا حياتهم كلها وقفًا لخدمة دين الله (عز وجل).

الستر

كان النبى ﷺ يعلم أصحابه ـ والأمة من بعدهم ـ أن المسلم ينبغى عليه أن يستر أخاه ولا يفضحه ولذلك كان النبى ﷺ إذا علم أن رجلاً وقع فى مخالفة فإنه كان يقول: «ما بال أقوامٍ يفعلون كذا وكذا» ولا يقل: ما بال فلان يفعل كذا (ويسميه باسمه).

وكان ﷺ يقول ـ كما فى صحيح مسلم ـ «لا يستر عبدٌ عبدًا فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»... وقال ﷺ ـ كما فى صحيح مسلم ـ «...ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة».

وقال ﷺ: «من غسل ميتًا فستره ستره الله من الذنوب ومن كفنه كساه الله من السندس» (صحيح الجامع: ٦٤٠٣).

وقال ﷺ: من رأى عورة فسترها كان كمن استحيا موؤدة من قبرها» (رواه أبو داود بسند حسن).

فياليتنا نتعلم هذا الخلق العظيم من الحبيب ﷺ فنستر على

إخواننا وأخواتنا ولا نتتبع عورات المسلمين حتى لا يتتبع الله عوراتنا فقد قال ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوارتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته» (صحيح الجامع: ٧٩٨٤).

السماحة

لقد كان النبى ﷺ سمحًا فى بيعه وشرائه، وفى كل شيء حتى إنه لما خرج - قبل البعثة - فى تجارة لخديجة (رضى الله عنها) ومعه غلامها (ميسرة) وذهبوا بتلك التجارة إلى الشام.. وإذا بميسرة يرى العجب العجاب من سماحة النبى ﷺ فى البيع والشراء، حتى نفدت بضاعته كلها فى وقت يسير.

ولذا كان النبى ﷺ يحث الأمة على السماحة... قال ﷺ: «أفضل المؤمنين رجل سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء سمح الاقتضاء» (رواه الطبرانى بسند حسن).

وقال ﷺ: «اسمح يسمح لك» (رواه أحمد بسند صحيح).

بل دعا النبى ﷺ لكل رجل سمح فقال: «رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع سمحًا إذا اشترى سمحًا إذا قضى سمحًا إذا اقتضى» (أخرجه البخارى).

وأما عن حال النبى ﷺ هذا الخلق العظيم: - ففى البخارى -

(عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: كان لرجل على رسول الله ﷺ سن من الإبل، فجاءه يتقاضاه، فقال: «أعطوه» فطلبوا سنه، فلم يجدوا إلا سنًا فوقها، فقال: «أعطوه» فقال: أوفيتنى أوفى الله بك، فقال النبى ﷺ: «إن خياركم أحسنكم قضاءً».

وفى رواية: أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ فأغلظ له فهم به أصحابه، فقال: «دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً، واشتروا له بعيرًا فأعطوه إياه».

فيا ليتنا نتعلم خُلق السماحة لتعود المودة والمحبة مرة أخرى بين المسلمين.

الإيثار والمواساة

قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩).

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٨).

وكان الإيثار من أعظم الأخلاق التى ينبغى أن نتعلمها من النبى ﷺ فلقد كان النبى ﷺ يحث الأمة على الإيثار دائمًا... فها هو ﷺ يقول: ـ كما عند مسلم ـ «طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الأربعة وطعام الأربعة يكفى الثمانية».

وكان يثنى على أبى موسى الأشعرى ورفاقه فيقول ـ كما فى الصحيحين ـ «إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم».

«أرملوا» فرغ زادهم، أو قارب الفراغ.

وكان يعطى الأمة الأسوة والقدوة فى ذلك.

فتعلم أصحابه الإيثار. فها نحن نرى النبى لما آخى بين سعد بن الربيع الأنصارى وعبد الرحمن بن عوف المهاجرى وإذا بسعد ـ كما عند البخارى ـ يعرض على عبد الرحمن أن يناصفه أهله وماله فقال له عبد الرحمن: بارك الله فى أهلك ومالك دلونى على السوق.

بل إليكم هذا المشهد الجليل ـ كما فى الصحيحين ـ (عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رجلاً أتى النبى ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء. فقال رسول الله ﷺ: «من يضم ـ أو يضيف ـ هذا؟» فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمى ضيف رسول الله ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبيانى، فقال: هيئى طعامك وأصبحى سراجك، ونومى صبيانك، إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها

ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «ضحك الله الليلة ـ أو عجب من فعالكما ـ فأنز الله ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾.

فيا ليتنا نتعلم خلق الإيثار لتشيع روح المحبة والأخوة بين المسلمين.

الصفح

قال تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر: ٨٥).

فكان النبى ﷺ يعفو ويصفح ويسامح كل من أساء إليه لأنه ﷺ كان لا يغضب لنفسه وإنما كان يغضب إذا انتهكت حرمات الله (عز وجل).

لقد كان الكفار يؤذون النبى ﷺ ومع ذلك كان يقول: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون».... بل لقد قتلوا أصحابه وأخذوا أموالهم وديارهم ـ بعد الهجرة ـ وخرج النبى ﷺ من مكة ليغرس بذرة التوحيد فى المدينة.. وعندما خرج من مكة نظر إليها ودموعه على وجنتيه وهو يقول: «والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله ولولا أن

قومى أخرجونى منك ما خرجت».

ويتوجه النبى ﷺ إلى المدينة ويظل بها فترة من الزمان حتى غرس بذرة التوحيد وأقام للإسلام دولة شامخة البنيان.. وإذا به يرجع إلى مكة فاتحًا منتصرًا فنظر أهل مكة إلى رسول الله ﷺ وهم ينتظرون أن يقتلهم جميعًا بسبب ما فعلوه.. وإذا بنهر الرحمة وينبوع الحنان ﷺ يقطع هذا الصمت القاتل ويقول: ما تظنون أنى فاعلٌ بكم؟ قالوا: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم. فقال لهم ﷺ: اذهبوا فأنتم الطلقاء!!!...بالله عليكم بأىِّ شىء نعلق وأى كلام نقوله أمام ينابيع الرحمة التى تفجرت من قلب الحبيب ﷺ لتغمر الكون كله.

(عن أبى إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله الجدلى يقول: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح») (رواه أحمد وأصله فى الصحيحين).

فياليتنا نتعلم من النبى ﷺ خلق الصفح والعفو عند المقدرة.

الصمت وحفظ اللسان

لقد كان النبى ﷺ أحفظ الناس للسانه فكان كما قال عبد الله بن أبى أوفى (رضى الله عنهما): «كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو...» (صحيح سنن النسائى: ١٣٤١).

وكان يحض الأمة على الصمت وقلة الكلام فكان يقول ﷺ: «من صمت نجا» (صحيح الجامع: ٦٣٦٧).

وكان ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» (متفق عليه).

ولما سأله عقبة بن عامر (رضى الله عنه) وقال: يا رسول الله ما النجاة؟ قال ﷺ: «املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) (صحيح الجامع: ١٣٩٢).

وأخبر النبى ﷺ «أن الصمت والبعد عن اللغو والانشغال بذكر الله يوصل إلى الجنة فقال ﷺ - كما فى البخارى - «من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة».

فياليتنا نحفظ أنفسنا من الكذب والغيبة والنميمة ونجعل كلامنا فى ذكر الله وقراءة القرآن والدعوة إلى الله لننجو من العذاب ولندخل جنة الحليم الوهاب (جل وعلا).

العدل والمساواة

ولقد كان النبى ﷺ أعدل الخلق أجمعين وكان لا يفرق فى ذلك بين الغنى والفقير... - ففى الصحيحين - فى قصة المرأة المخزومية التى سرقت وأراد قومها من أسامة بن زيد أن يشفع لها عند رسول الله ﷺ ليعفو النبى ﷺ عنها فلما أراد أسامة أن

يشفع لها غضب النبى ﷺ عند ذلك وقال: «وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها».

وكان يعدل بين أزواجه عدلاً يفوق الخيال.

(عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: يا ابن أختى (لعروة بن الزبير) كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم، من مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعًا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التى هو يومها فيبيت عندها...») (رواه أبو داود بسند حسن).

وكان ﷺ يحض الأمة على العدل وعدم الجور... قال ﷺ: «إذا حكمتم فاعدلوا...» (صحيح الجامع: ٤٩٤).

وأخبر ﷺ أن الإمام العادل لا تُرد دعوته فقال ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل....» (رواه أحمد بسند صحيح).

وجعل النبى ﷺ العدل من المنجيات فقال ﷺ: «....وأما المنجيات فالعدل فى الغضب والرضا..» (صحيح الجامع: ٣٠٤٥)

بل وأخبر أن أهل العدل يكونون يوم القيامة على منابر من النور فقال ﷺ: ـ كما فى صحيح مسلم ـ «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا» بل وأخبر أنهم يكونون يوم القيامة فى ظل عرش الرحمن (جل وعلا)... قال

ﷺ - كما في الصحيحين - «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمامٌ عادل.....».

فاللهم اجعلنا من أهل العدل الذين يكونون فى ظل عرشك يوم القيامة.

العطف

لقد كان النبى ﷺ صاحب القلب الرحيم يحب أن تشيع روح المودة والرحمة والعطف بين المسلمين ولذا كان يحضهم على ذلك.

قال ﷺ - كما فى صحيح مسلم - «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وقال ﷺ - كما فى الصحيحين - «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء».

وتعالوا بنا لنرى أحوال النبى ﷺ فى عطفه ورحمته بأمته.

(عن مالك بن الحويرث - رضى الله عنه - قال: أتينا النبى ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا فى أهلنا فأخبرناه، وكان رقيقًا رحيمًا،

فقال: «ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتمونى أصلى، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم»).

(وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قالت قريش للنبى ﷺ: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبًا، فإن أصبح ذهبًا، اتبعناك، فدعا ربه فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: إن ربك يقرئك السلام، ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا، فمن كفر منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة. قال: بل باب التوبة والرحمة»)

(رواه أحمد بسندٍ حسن)

العفة

لقد كان الحبيب ﷺ عفيفًا لا تتطلع نفسه إلى شىء من حُطام الدنيا وكان يحض الأمة على أن تتخلق بخلق العفة.

قال ﷺ: «أربعٌ إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة فى طعمة»

(صحيح الجامع: ٨٧٣)

وقال ﷺ ـ كما عند مسلم ـ «.... ومن يستعفف يعفه الله...».

وقال ﷺ ـ كما عند مسلم ـ «اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى،

واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة».

وقال ﷺ - كما فى الصحيحين - «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس».

وقال ﷺ - كما عند مسلم - «لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه ويستغنى به عن الناس خيرٌ له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك بأن اليد العليا أفضل من اليد السفلى..».

ووصف النبى ﷺ أهل الجنة فقال - كما عند مسلم - «وأهل الجنة ثلاثة - منهم - وعفيفٌ ذو عيال...».

وأما عن حاله ﷺ مع العفة فتدبر معى ما كان من أمره ﷺ.

- ففى الصحيحين - (عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنى لأنقلب إلى أهلى فأجد التمرة ساقطة على فراشى، ثم أرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها»).

- وفى الصحيحين - (عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قال: أخذ الحسن بن على تمرة من تمر الصدقة فجعلها فى فيه فقال رسول الله ﷺ: «كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة»).

ـ وفى الصحيحين ـ (عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: مر النبى ﷺ بتمرة فى الطريق قال: «لولا أنى أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها»).

العفو والغفران

ـ ففى صحيح مسلم ـ (عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شىء من محارم الله تعالى، فينتقم لله ـ عز وجل).

وفى الصحيحين ـ (عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: كأنى أنظر إلى النبى ﷺ يحكى نبيًا من الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «رب اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون»).

وكان النبى ﷺ يحض الأمة على العفو والغفران.

قال ﷺ: «تعافوا فيما بينكم فما بلغنى من حَدٍّ فقد وجب»

(رواه أبو داود بسند صحيح)

(وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: جاء رجلٌ إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله! كم نعفو عن الخادم؟ فصمت! ثم

أعاد عليه الكلام، فصمت! فلما كان فى الثالثة، قال: «اعفوا عنه فى كل يوم سبعين مرة») (رواه أبو داود بسندٍ صحيح).

وقال ﷺ - كما عند مسلم -: «... وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً...».

بل ويخبر النبى ﷺ عن هذا المشهد الجليل الذى يكون يوم القيامة فيقول ﷺ: «من كظم غيظًا وهو قادرٌ على أن يُنفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين يزوجه منها ما شاء» (صحيح الجامع: ٦٥٢٢).

فاللهم اجعلنا من أهل العفو والغفران لنفوز بعفوك ومغفرتك وجنتك يا أرحم الراحمين.

كتمان السر

لقد علمنا النبى ﷺ أن من الوفاء أن يُحافظَ المسلم على سر أخيه فيكتمه وإلا كان غادراً،ن ومن حق المسلم على المسلم أن يكتم عنه ما يكون قد وصل إليه من سره خاصة إذا كان قد تعهد له بحفظ هذا السر وعدم إذاعته.

ومن هنا كان كتمان السر نوعًا من الوفاء بالعهد، وقد قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: ٣٤).

قال ﷺ: «إذا حدَّث الرجل بالحديث ثم التفت فهى أمانة»
(صحيح الجامع: ٤٨٦)

وقال ﷺ - كما عند مسلم -: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضى إلى امرأته وتُفضى إليه ثم ينشر سرها».

المسارعة فى الخيرات

وكان النبى ﷺ أسرع الناس إلى كل خير، وكان يحض أصحابه - والأمة من بعدهم - على المسارعة إلى الخيرات.

قال ﷺ: «التؤدة فى كل شىء خير إلا فى عمل الآخرة»
(صحيح الجامع: ٣٠٠٩)

وقال ﷺ: «اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شُغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» (صحيح الجامع: ١٠٧٧).

وكان ﷺ يعلم الأمة كيفية اغتنام الأجر والثواب فى كل الطاعات التى تقربهم من رب الأرض والسماوات (جل وعلا).

وحسبنا أن نقرأ قول الله (عز وجل): ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣).

فنحن فى ميدان السباق الحقيقى وينبغى أن نغتنم كلِ لحظة فى طاعة الله حتى لا نندم فى يومٍ لا ينفع فيه الندم ولا تُجدى فيه الحسرة.

المواساة

وكان النبى ﷺ يواسي مَن حوله بالقليل والكثير، وكان يحض أصحابه على خُلق المواساة لأنه يشيع المحبة والمودة بين المسلمين.

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال وهو يخطب: إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحضر، يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير، وإن ناسًا يعلمونى به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط)

(رواه أحمد بسندٍ حسن)

وكان هذا الخُلق واضحًا جليًا بين المهاجرين والأنصار، فلقد واسى الأنصار المهاجرين مواساة سُطِّرت على جبين التاريخ بسطور من النور.

عنِ أنس قال: لما قدم النبى ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قومًا أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المؤنة، وأشركونا فى المهنأ حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال النبى ﷺ: «لا ما

دعوتم الله لهم، وأثنيتم عليهم» (رواه أحمد بسند حسن).

ونحن نعلم كيف أن سعد بن الربيع الأنصارى عرض نصف ماله وإحدى زوجتيه على عبد الرحمن بن عوف المهاجرى فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك.

بل لما توفى الزبير بن العوام لقى حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير فقال له: كم ترك أخى من الدَّين؟ قال: ألف ألف. قال حكيم: علىَّ خمسمائة ألف.

فيا ليتنا نتعلم خُلق المواساة حتى تشيع روح المحبة والمودة بيننا.

النصيحة والتواصي

وكان النبى ﷺ يبذل النصيحة لكل من حوله ويوصيهم بوصاياه الغالية، وكان يعلم الأمة أن المؤمن لابد أن ينصح لأخيه، وأن يوصيه بكل خير.

قال ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن يكفُّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه» (صحيح الجامع: ٦٦٥٦). وقال ﷺ: «المستشار مؤتمن» (صحيح الجامع: ٦٧٠٠).

وها هو حال النبى ﷺ مع النصيحة والوصية.

ففى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال: أعتق رجلٌ من بنى عُذرة عبدًا له عن دُبر فبلغ ذلك رسول الله ﷺ. فقال:

«ألك مال غيره؟» فقال: لا. فقال: «من يشتريه منى؟» فاشتراه نُعيم بن عبد الله العدوى بثمانمائة درهم. فجاء بها رسول الله ﷺ فدفعها إليه. ثم قال: «ابدأ بنفسك فتصدَّق عليها. فإن فضل شىء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شىء فلذى قرابتك، فإن فضل عن ذى قرابتك شىء فهكذا وهكذا» يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك.

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلى كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى فى النار يقعن فيها. وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها. قال: فذلكم مثلى ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلُمَّ عن النار، هلم عن النار، فتغلبونى تقحمون فيها».

وفى صحيح مسلم عن سلمان بن بُريدة عن أبيه رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمَّرَ أميرًا على جيش أو سرية، أوصاه فى خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: اغزو باسم الله، فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلُّوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا».

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «أوصانى خليلى ﷺ بثلاث: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتى الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد».

وفى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه «أنَّ رجلاً قال للنبى ﷺ: أوصنى، قال: لا تغضب، فردد مرارًا، قال: لا تغضب».

البشرى الطيبة لمن حوله

وكان من أخلاق النبى ﷺ الرقيقة أنه كان يحب أن يحمل البشرى الطيبة ويوصلها لصاحبها ليُدخل على قلبه السعادة والسرور.

فها هو ﷺ - كما فى الصحيحين - يبشر خديجة رضى الله عنها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نَصَب.

بل وفى الصحيحين أيضًا أن النبى ﷺ لما جلس على حافة بئر (أريس) ووقف أبو موسى الأشعرى بوابًا لرسول الله ﷺ. فلما طرق الباب أبو بكر ذهب أبو موسى ليستأذن له رسول الله ﷺ فقال له ﷺ: «ائذن له وبشره بالجنة».... وفعل مثل ذلك مع عمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم جميعًا».

وفى الصحيحين أيضًا فى قصة توبة الله (عز وجل) على كعب بن مالك رضى الله عنه الذى كان قد تخلف عن غزوة تبوك... فلما مرت الأيام العصيبة على كعب ونزلت توبة الله عليه، وإذا بالحبيب ﷺ يبشره بتوبة الله عليه ويقول له: «أبشر بخير يومٍ مرَّ عليك مُذ ولدتك أمك» فقال له كعب: أمن عندك

يا رسول الله أم من عند الله؟ قال ﷺ: «لا بل من عند الله عز وجل».

وفى صحيح مسلم عن ابن شمَّاسة قال: حضرنا عمرو بن العاص رضى الله عنه، وهو فى سياقة الموت فبكى طويلاً، وحوَّل وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشَّرك رسول الله ﷺ بكذا؟ فأقبل بوجهه فقال: إنَّ أفضل ما نُعدُّ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

فيا ليتنا نتعلم هذا الخُلق من رسول الله ﷺ ونحرص على حمل البشرى لمن حولنا.

الرحمة

ولقد ختمت الكلام عن تلك الصفات بصفة الرحمة؛ لأنها كانت أعظم وأجمل صفة من صفات النبى ﷺ فلقد قال تعالى عنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:: ١٠٧)، وقال تعالى: ﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ (التوبة: ١٢٨)... وكان من أسمائه ﷺ: (نبى الرحمة).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تُؤمنوا حتى تراحموا». قالوا: كلنا رحيم يا رسول الله، قال: «إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس، رحمة

العامة» (رواه الطبرانى بسند حسن).

وها هى صفحة مشرقة من رحمة النبى ﷺ:

ففى البخارى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأخذنى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسن بن علىّ على فخذه الآخر، ثم يضمهما، ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإنى أرحمهما».

وفى الصحيحين عن أبى قتادة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها. فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه».

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: كانت هذه بعض أخلاق النبى ﷺ... وأنا لا أزعم أننى ذكرت كل أخلاق النبى ﷺ؛ لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات، ومع ذلك فلن نستطيع أن نوفيه حقه ﷺ.. فيا ليتنا نتعلم منه تلك الأخلاق المباركة عسى الله أن يجعلنا من أتباعه وأن يُلحقنا به فى جنته لنسعد بصحبة الحبيب المصطفى ﷺ ولتكتمل سعادتنا بالنظر إلى وجه الله (عز وجل).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

• محتويات الكتاب •